

ذنب يقترفونه، أو إثم يتورطون فيه، وقد سألت الشيوخ في الأزهر والأولياء الصالحين الذين يعكفون في المساجد، ويلوذون بمشاهد أهل البيت، فلم أجد عند أحد منهم شيئاً. ولكنني غفوت ذات ليلة بعد أن صليت العشاء، فما راعني إلا شيخنا وهو يبسم لي ساخراً، ثم يدنو مني فيمسح على رأسي ويتلو هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾، ثم ينأى عني قليلاً قليلاً وهو يقول: اتبعني أبا صالح فإنني سأفر بنفسي وديني من هذه القرية الظالم أهلها، وقد أفقت مذعوراً، ولم أستطع منذ تلك الليلة أن أقنع نفسي بأني لم أرَ إلا حلماً، وإنما استقر في قلبي أن الشيخ منتقل إلى رضوان الله، وأني لن ألبث بعده إلا قليلاً، ولقد أقبلت أبا خالد وأنا أحدث نفسي بالسفر لأزوركم وأحدث عهداً بالشيخ، فمن يدري! لعله الوداع.

قال عليٌّ وصوته يرتجف: هون عليك! فإنك لم تر إلا حلماً، وقد تركت الشيخ على أحسن ما عهدته قوةً ونشاطاً، وقد حمّلني تحية إليك ودعاء لك، ولكنه دعاني حين انصرفت عنه بعد وداعه، فأسرَّ إليَّ أنه هابط إلى القاهرة؛ فقد طال عهده بأهل البيت، ثم قال في ابتسامه ما رأيت قط أعذب منها، لقد كانت شفتاه كأنما تنفرجان عن نور قال: أبلغ عبد الرحمن أننا سنكون له ضيفاً.

هنالك لم يملك عبد الرحمن نفسه أن قال بأعلى صوته: الله اكبر! الشيخ ضيفي! ثم أهوى إلى صديقه فقبل رأسه وهو يقول وفي عينه دمعتان تترقرقان: ويحك أبا خالد! لم أخرت عليَّ هذا النبأ السعيد؟!

ومهما يكن من شيء فقد سافر علي إلى القاهرة وفي قلبه شيء من حزن وشيء من أمل، وعاد إلى المدينة وفي قلبه كثير من الحزن وكثير من اليأس، إلا من روح الله، ولكنه قال لصديقه وهو يودعه: سأعود إليك بعد حين؛ فما ينبغي أن أتخلف عن مصاحبة الشيخ، ولا بدَّ من أن نزور معه أهل البيت.